



AP

لا يقلل وصف ما يجري في سوريا بـ"ثورة" من حجم المخاوف المذهبية والطائفية، ولا من محاولات الدول الكبرى والمؤثرة في الميدان السوري استثمار الدم والدمار السوريين في صراعاتها ونظام مصالحها الخارجية والداخلية. فالربيع العربي عالق في عنق الزجاجة السورية، بقوة لجم ألممية، سواء من قبل النظام السوري المتداعي ببطء والمتماسك أمام الثورة من جهة، أو بقوة المصالح الإقليمية والدولية المتقطعة عند الخوف من اليوم التالي لسقوط النظام.

ويتجلى هذا التقطيع باستمرار تدفق الأسلحة والدعم المالي وـ"اللوجيستي" لنظام الأسد من قبل روسيا وإيران بالدرجة الأولى، وبتقدير السلاح في المقابل للمعارضة السورية، بما لا يخل بعسكرتها، ويحول دون تحقيقها تفوقاً نوعياً على سلاح الطيران النظامي سواء بسلاح الصواريخ أو عبر فرض حضر جوي من قبل الجهات الدولية الداعمة. موقف المملكة الأردنية الهاشمية يعكس ميزان الموقف العربي والخليجي تحديداً.

فالملكة تعامل مع التطورات في سوريا بوصفها حدثاً أردنياً يمسُّ أمن النظام الملكي ومستقبل الدولة، منطلقة من اعتقاد تكشفه الواقع السياسية والميدانية، مفاده أن نجاح الثورة السورية لن يكون نظامها الهاشمي في معزل عن نتائجه التغييرية. هذه المخاطر على النظام تمتد إلى دول الخليج، التي تستشعر بعض أنظمتها الخطر، وتحاول لجمه ومحاصرته بإظهار كلفة التغيير الثوري أمام شعوبها المتحفزة له، وعبر محاولة تلميع سطحية لنظام لا يزال يعتقد القائمون عليه أن التاريخ يمكن أن يتوقف على أبوابه من دون أن يهزّ أركانه المتصدعة أصلاً.

تقاطع المصالح بين الحلفاء الدوليين والإقليميين وخصومهم يرتكز إذا على منع امتداد شرارات الثورة السورية إلى خارجها، وهو منع تتتوفر له جملة وسائل تضاف إلى الوسائل "اللوجستية" الآتية، التي تمنع الجسم سواء من قبل "النظام" أو الثوار. ويشكل الجانب المذهبي والطائفي عاملًا حيوياً من هذه الوسائل.

فقد وفرت طبيعة النظام السوري الطائفية والدعم الإيراني المستمر له سلاحاً نوعياً لخصوم النظام السوري الإقليميين، أتاح

استثماره في محاولة نقل السجال والصراع إلى حيز مذهبي، استناداً للالتفاف الإيراني والشيعي عموماً حول بشار الأسد، ومظهرة هذا البعد في الصراع بوصفه سلاحاً نوعياً للجم التاريخي والدفع لإبقاء الربيع العربي معلقاً في عنق الزجاجة السورية.

وقد فرت إيران في مواقفها من الثورة السورية والعراق خلال السنوات الماضية، وصولاً غالباً موقعها في لبنان والبحرين، مادة غنية للاستثمار من قوى النظام العربي والدول الكبرى.

مادة تقول إن الخطر على الشعوب العربية، وغالبيتها السنوية تحديداً، كامن في التهديد الإيراني وبالتالي في الخطر الشيعي. استثمار وجّد صدّاه لدى الرأي العام الذي بات أكثر ميلاً لعصبية مذهبية، وهو ما أتاح لبعض الأنظمة الخليجية القيام بعملية تدجين للمعارضين من غير الشيعة، عبر عمليات طرد أو اعتقال طالت خلال السنة الماضية شخصيات نشطة، أو الحديث المستمر عن كشف مزاعم " شبكات تخريبية " في دولة الإمارات العربية... كل ذلك يتم على وقع دعاوى التهديد الإيرانية من جهة، وتنظيم الكلفة العالمية للتغيير في سوريا، وبالتالي التواطؤ على الربيع العربي ومحاولة دفعه في سوريا. لكن ثمة وجه آخر لا يمكن التكهن بتأثيراته المستقبلية، وهي ظاهرة تشكل هيئات مناصرة للشعب السوري وثورته على امتداد العالم العربي والإسلامي والعالم.

ظاهرة غير مسبوقة لجهة تحول قضية الشعب السوري وثورته إلى قضية عربية بامتياز.

فظاهرة تشكّل هيئات شعبية وإغاثية باتت تعد بالمئات لم تشهدها أي ثورة أخرى إلا الثورة الفلسطينية... وهي وقائع، وإن انطوت في بعض جوانبها على بعد مذهبي تستثمره الأنظمة المتصارعة وتدفع في اتجاه تبنيه، إلا أنَّ بعد الأهم يبقى في إدراك الشعوب العربية العميق أنَّ عدم مناصرة الشعب السوري وثورته كفيل بإطالة عمر الاستبداد في بلدانها.

العصر

المصادر: